

«الأسلوب» ولكنهما وجهان يستندان إلى مقياسين متكاملين : مقياس انتقاء الرصيد اللفظي من القاموس العام للغة، ومقياس توزيعه وتنسيقه على سلسلة الكلام غير أن هذين المبدئين ما أن يتفاعلا عضويا في عملية الخلق الأدبي حتى يولدا معيارا ثالثا يتصل مباشرة بالتّظريات العامّة الأساسيّة في علم الدلالات، فإذا كان الجاحظ قد حاول تقنين سلّم المقاييس العامة في اختيار اللفظ، وفي إختيار النّظم، فهل كان مسلّما في كل ذلك بأنّ العلاقة بين مجموع الدّوال المصاغة ابتداء وما يذهب المتقبّل بها إليه من مدلولات هي علاقات حتميّة بموجب أنماط لغوية قارّة، أم إنّه ذهب إلى مبدإ غزارة الدّلالات انطلاقا من دوال معيّنة محدودة ؟

إنّ هذا التّساؤل المبدئي يرجعنا إلى البحث عن رأي الجاحظ في طاقات الظاهرة اللغوية من حيث الابلاغ . ولئن اشتمل «البيان والتبيين» على إشارات عديدة تبرز الطاقة الدلاليّة المباشرة في اللغة (٣٥) ممّا يجعل وظيفتها الأساسيّة متطابقة مع مبدإ الافصاح والابانة كما أسلفناه فإنه يحوي استطرادات كثيرة تبرز كلها اعتبار الجاحظ أنّ من مميزات لغة الخلق الفنى - وبالتالي لغة الأسلوب الأدبي - اعتمادها على الطاقات الإيحائيّة في الظاهرة اللغويّة أكثر من إقتصارها على طاقاتها التصريحيّة . ومعلوم أن أحدث الاتجاهات الأسلوبية تركز عنايتها على تحليل مفهوم الأسلوب الأدبي بالرجوع إلى قدرة النّص على استيعاب مجالات دلاليّة مختلفة بفضل ما في لغته من طاقات إيحائيّة، وهذه

(٣٥) (ج ١ - ص ٧٥، ١٠٤، ١٠٥، ١١٧) .

(ج ٢ - ص ١٠٤) .

(ج ٤ - ص ٢٨) .